

موقف التعليم والتعلم في المدارس العربية بولاية كُنُو نيجيريا

(خطوات تطويرية)

إعداد

خيرية زكريا عمر

قسم اللغة العربية

كلية التربية الفدرالية كنو

نيجيريا

في

المؤتمر الدولي الثالث للغات العربية، للاستثمار في اللغة العربية و مستقبلها الوطني والعربي والدولي، المنعقد خلال الفترة من 10 - 7 مايو 2014 ، الموافق 11 - 8 رجب 1435 هـ ، في الدولة الإمارات العربية دبي.

التمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على النبي الكريم.

من الحقائق المتفق عليها أن نزول القرآن الكريم باللغة العربية هو العامل الأساس في سر بقائها وانتشارها بين أفراد الأمة الإسلامية، وتميزها عن اللغات الأخرى.

إذ أنه واجب على كل مسلم أن يتعلم القرآن لأداء مناسك دينه مما أتاح لهذه اللغة فرصة هائلة للانتشار، وعلى هذا النحو أقبل سكان نيجيريا على تعلم لغة القرآن. ثم أتقنها بعضهم عن طريق البعثات العلمية إلى بلاد العربية.

وهكذا صارت اللغة العربية بمرور الزمن لغة العلم والثقافة الإسلامية والتأليف والتعبير الأدبي بين شعوب نيجيريا خاصة في عصر الدولة الإسلامية التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في شمالي نيجيريا حتى مجيء الاحتلال البريطاني في 1903 م.

وكان للغة العربية - ولا زال - مكانة واضحة بين شعوب هذه المنطقة ممثلاً ذلك في كتابة لغاتها المحلية بالحرف العربية مما ساهم في تعلم وتعليم اللغة العربية بين الأهالي وعلى التواصل الثقافي والديني والاجتماعي والتجاري بين هذه الشعوب.

ومن القبائل التي اتخذت الحروف العربية لكتابة لغتهم المحلية قبيلة هوسا في نيجيريا، وبالتحديد (شمال نيجيريا) واستمر الحال في تطور حتى مجيء الاستعمار الذي حاول جاهداً إحلال ثقافته محل اللغة العربية، لكن بعض المستنيرين من الزعماء من أمثال وزير كنو غطاطو، وأميرها عبد الله بايرو فطنو لهذه المكيدة وحاولوا إعادة مجد اللغة العربية في ولاية كنو، فكان تأسيس مدرسة العلوم العربية في عام (1932) وظهرت مدارس عربية إسلامية كثيرة في هذه الولاية وأقبل الناس عليها إقبالاً كبيراً، وقامت الحكومة بتدريب مدرسي العلوم العربية والإسلامية، فوجد كثير من مدرسي هاتين المادتين فرصة إكمال دراساتهم العليا للتخصص ووظف بعضهم في وزارة التربية والتعليم، فكان لهم راتب وفرص الترقية كغيرهم من الذين يدرسون المواد الأخرى، وإثر ذلك انتشرت العربية في ولاية كنو وما جاورها بشكل كبير.

فساهمت حكومة ولاية كنو بتقديم المساعدات المعنوية والمادية على نشر الثقافة العربية الإسلامية وذلك لأن معظم الذين يتولون المناصب في وزارة التربية والتعليم حريصون كل الحرص على نشر الوعي الديني، وعلى ذلك اهتموا بإنشاء المدارس العربية الإسلامية في المراحل المختلفة في ذلك الوقت. فتخرجت أفواج من الطلبة والطالبات الذين وفقوا في إتقان اللغة العربية وواصلوا دراساتهم العليا في الكليات والجامعات، حتى أن بعضهم وصلوا إلى مناصب إدارية مرموقة وأساتذة في الكليات والجامعات.

وبعد اكتساب هذه الجودة بفترة زمنية وجدت بعض عقبات التي تعرقل سير تقدم وتطور هذه الدراسات العربية والإسلامية معاً، فأصبح خريجو هذه المدارس لا يتقنون اللغة العربية ولا يفهمون الدراسات الإسلامية حق المعرفة كما كان من قبل.

فمضى هذه الورقة تسليط بعض الضوء على هذه العقبات والوسائل المتبعة لتذليلها حتى يتم النجاح كما كان من قبل.

وتحتوى الورقة على أربعة مباحث كالتالي:

المبحث الأول:- قضية التأهيل والتدريب في العملية التعليمية

المبحث الثاني:- عدم استعمال أدوات الاتصال الحديثة في العملية التعليمية

المبحث الثالث:- عدم وجود المنهج المناسب .

المبحث الرابع:- الخطوات المتبعة التي تساعد على النجاح في العملية التعليمية.

الخاتمة:- وفيها ملخص البحث.

وأسأل الله العظيم أن يجعل هذا البحث المتواضع بحثاً مقيداً يستعان به في تطوير مستوى العلم والتعلم للغة العربية والدراسات الإسلامية في بلاد نيجيريا عامة وفي ولاية كنو خاصة.

المبحث الأول:- قضية التأهيل والتدريب في العملية التعليمية:

تشير بعض المعاجم اللغوية إلى أن التأهيل معناه: أن يكون المرء أهلاً لشيء، مادياً كان أو معنوياً⁽¹⁾ يقال: تأهل للأمر بمعنى أنه أهل له وإذا رجعتنا إلى المتخصصين التربويين نجد أن استخدامهم لهذا المصطلح يطابق تماماً معناه اللغوي.

والكفاءة تعنى كون الإنسان نظيراً لشيء أو مساوياً له أو مثله⁽²⁾ فتأهيل المعلم بناء على ما تقدم عبارة عن تمكنه أكاديمياً من القيام بتدريس المادة المسندة إليه للتدريس ومن المعلوم أن العربية لغة ذات جوانب عديدة ونطاق واسع، فتأهيل مدرستها يتطلب منه أمرين جوهرين:-

الأول:- إلمامه بتلك الجوانب اللغوية الضرورية إلماماً عاماً وتعمقه في ميدان تخصصه تعمقاً خاصاً.

الثاني:- كونه قادراً على التعبير باللغة العربية في عبارات سليمة واضحة مراعيها في ذلك مستويات التلاميذ.

ومما سبق نلاحظ أن معرفة المادة معرفة دقيقة لا تؤهل المدرس في حد ذاتها لتدريس اللغة العربية تدريساً ناجحاً كما أنه لا يكفي لمعلم العربية تمكُّنه اللغوي بدون معرفة المادة، إذ لا قيمة لأساليب رائعة الجمال خالية عن الأفكار السديدة والحقائق العلمية الثابتة. فإن المعلم الذي لا يحسن التعبير باللغة العربية مثلاً، قد يكون مضطراً إلى هذه اللغة باللغة الأجنبية وهذا طبعاً يعيق العملية التعليمية ويؤخر التذوق اللغوي السليم للتلاميذ، وهذا هو السائد في مدارسنا العربية اليوم.

وأما التدريب التربوي فهو آلة مهنية مهمة يحتاج إليها المدرس لكي يستطيع أن يقوم بالتدريس على أحسن وجه. وله جوانب عديدة.

والتأهيل والتدريب عنصران ضروريان لنجاح المعلم في مهنته ويكمل الأول الثاني، حتى أن البعض لا يفرق بينهما بل يعتبرهما عنصرًا واحدًا غير قابل للتقسيم⁽³⁾.

وهناك بعض الخصائص الضرورية التي يجب على المدرس أن يتصف بها، منها:-

أ - إن المعلم مطالب بالوصول إلى مستوى خاص في التحصيل العلمي، وإن هذا المستوى لا يمكن بلوغه في المواد المدرسية المختلفة بدون ذكاء، والذكاء ميزة ضرورية للمعلم.

ب - والمعلم يكون ناجحًا في العملية التعليمية على قدر اتصافه بخصائص كثيرة منها:-

- الإلمام بنفسية التلاميذ

- الإلمام بقواعد التدريس المناسبة كمستويات المتعلمين

- التخلق بالأخلاق الحميدة التي تجعله قدوة لتلاميذه.

- الإخلاص في العمل وغير ذلك⁽⁴⁾.

وهذه العناصر كلها قد نوقشت في كتب التربية المختلفة والتي تشير إلى مكونات التأهيل والتدريب واحتياج المعلم إليها والذي يشير إلى عدم صلاحية المرء لمهنة التدريس إذا لا يستطيع القيام بالأدوار التالية:-

- دور خبير بالمادة الدراسية

- دور ممثل قيم المجتمع والمهتم بنقلها

- دور خبير في العلاقات الإنسانية

- دور العامل في حقل النشاط المدرسي والمهتم بمشكلات التلاميذ. وما إلى ذلك⁽⁵⁾.

فهذه الأمور كلها تدور حول قضية التأهيل والتدريب وتؤكد احتياج المعلم إليها لا لإنجاز المهنة التعليمية. وتجاهه اللغة العربية ومعلميها في ولاية كنعو لبعض التجاهل فهما ليسا ضمن المواد والمدرسين الذين تقوم الحكومة بتدريبهم أو القيام بالتطبيق العملي للأهداف التعليمية في سجالهما، كما تنعقد الندوات لتدريب المعلمين ولكن يغفل عن المادة العربية، أي لم تكن اللغة العربية من ضمن المواد التي تدور حولها الدراسة في تلك الندوات، وإذا سئل المسئول على القيام بمثل هذه الندوات وعن سبب إغفالهم للغة العربية يجيبوا على أن وجود مادة الدراسات الإسلامية يسد مسد اللغة العربية. لأن أهداف المادتين واحد في نظرهم. مع أن هذا غير صحيح.

ومع الأسف الشديد هكذا صارت اللغة العربية مظلومة وحقوقها مغصوبة في هذه السنوات الأخيرة حيث أن المجلس التربوي لا يهتم بها وبمدرسيها، ولا يدخلها في قائمة المواد المستحق للدراسة في الندوات والمؤتمرات.

المبحث الثاني:- استعمال أدوات الاتصال الحديثة:

إن أدوات الاتصال الحديثة مثل جهاز التسجيل الصوتي، والتلفزيون التعليمي والحاسب الآلي، هذه الأجهزة كلها يمكن أن تتخذ كوسائل لتطوير مهارات التلميذ اللسانية كما تتخذ في عمليات التنمية الفكرية فتعد فيها أو بواسطتها برامج تهدف بصورة خاصة إلى إثراء الحصول اللغوي اللفظي والأسلوبي بكل طرق ممكنة⁽⁶⁾. يقول أحد الباحثين ف شئون اللغة

((إن حاسة السمع ينبغي أن ترافقها دائما حاسة البصر، وينبغي أن يدرب اللسان بالترابط مع اليد، كما ينبغي ألا تدرس الموضوعات شفهيًا فحسب، ولكنها ينبغي أن توضح بطريقة مرئية، وإن من الحكمة أن يصوّر على جدران الصف موضوع يعالج داخل الصف))⁽⁷⁾.

والحقيقة أن استخدام أي وسيلة سمعية أو بصرية أو أي وسيلة حسية أخرى تساعد على استيعاب المعاني والأفكار وتجسيد استخدام اللغة وتناول المفردات اللغوية بشكل حيوي ملموس أصبح أمرًا ضروريًا في الأوساط التربوية الحديثة، لأن ذلك من شأنه أن يجعل الحياة الدراسية جزءًا من الواقع ويربط العلوم والمعارف التي يكتسبها الطالب بالحياة التي يحياها فيجعلها عالما متحركا كعامله، كما يساعد على تجسيد المعارف وتثبيتها⁽⁸⁾.

ومما لا شك فيه أن التلفزيون التعليمي بنحو خاص يعتبر من أهم الوسائل الحديثة التي تشترك حاستا السمع والبصر معا في تلقي المعلومات منها، سواء كانت هذه المعلومات فكرية أو لغوية، هذا بالإضافة إلى قابليته الكبيرة على اجتذاب الطلاب وشد انتباههم وحثهم على الانضباط والاتجاه الطوعي للمتعلم.

لقد أجريت بعض الدراسات على التلفزيون كوسيلة تعليمية، فوجد أن التعلم عن طريقة يقلل من تأخر الطلاب وغيابهم، ويسيطر على ما لدى بعض المعلمين من سلوك سيئ كما يثبت أن الصفوف التي استعان المدرسون فيها بالتدريس بالتلفزيون أفضل من تلك التي درست بالطرف المعتادة فقط⁽⁹⁾. وبذلك فإن التلفزيون التعليمي يمكن أن يكون في مقدمة الوسائل التي تشترك في تجسيد اللغة وتقريبها وإيصالها أو نقلها عن طريق الحواس المتعددة.

المبحث الثالث:- عدم وجود المنهج المناسب في العملية التعليمية:

من المفترض أن توضع المناهج الدراسية على أساس دراسات ميدانية دقيقة متفحصه، تستقرئ وتتحسس أذواق التلاميذ وميولهم واتجاهاتهم ومستوياتهم العقلية والثقافية، وتتعرف على حاجاتهم وظروف حياتهم الفعلية وطموحاتهم الخاصة، ويختار من الموضوعات أو المقررات ما يتناسب مع هذه الأذواق والمستويات وهذه الميول والظروف والحاجات والطموحات، ومن المفترض أن يستعان بالمدرسين أنفسهم ويستفاد من آرائهم وملاحظاتهم في وضع المناهج أو الكتب الدراسية وفي اختيار موضوعاتها، لأنهم أقرب إلى حياة طلابهم

وأدرى بميولهم وأذواقهم، وقد يكونوا أعرف بما يلائمهم من مناهج⁽¹⁰⁾. إن إعطاء التلميذ الموضوعات أو النصوص الطويلة التي تتزاحم فيها العبارات الغامضة والكلمات والتراكيب اللغوية الغريبة أو النادرة الاستعمال والمفاهيم التي تتجاوز الطاقة الذهنية وتفوق مستواه اللغوي وتحمل عقله عبئ التفكير والحفظ والتذكر ملا يطبق، هذه قد تؤدي إلى تبرمه وبأسه ونفوره من القراءة والدراسة، أو تؤدي إلى التقليل من استفادته فيما يتعلم.

إن من بين ما تشكو منه بعض المناهج التعليمية العربية في شمال نيجيريا وبالأخص في ولاية كنو - طغيان الماضي على الحاضر في تدريس كثير من مقررات الأدب والبلاغة، وغلبة التركيز على النصوص القديمة التي تزخر بالكلمات الغامضة والتراكيب اللغوية التي عفت معانيها وندر وانقطع استعمالها مثل: المعلقات، والمقامات، والنماذج البلاغية التقليدية القديمة، فلهذه النصوص سلبات عديدة فهي تترك وترهق أذهان التلاميذ وتشعرهم بالاحباط والملل وتزاحم معانيها وتداخلها وصعوبة تصورها، وقد تقضى إلى تفتيرهم من دروس، الأدب والبلاغة عامة لأنها تشعرهم بعدم فاعلية هذه الدروس. ويُعد التجارب فيها عن روح العصر وعن مستجدات الحياة وتطوراتها وحقائقها وأحداثها الملموسة ولانفصال لغتها عن الواقع، وبذلك تقل دوافعهم الذاتية لاكتساب اللغة من هذه الدروس ومن الموضوعات المقررة فيها⁽¹¹⁾.

يضاف إلى ما سبق ذكره من سلبات المناهج المقررة في مدارسنا العربية كثرة المفردات وتزاحم التراكيب اللغوية الغامضة في النماذج المقررة الذي يؤدي إلى صعوبة تعلم هذه اللغة الكريمة، لأن عبء تعلم اللغة يصبح أكبر كلما كان عدد الرموز أكثر. كما يصرح بعض علماء اللغة⁽¹²⁾ لذلك يفترض أن تتضمن المناهج الدراسية عامة والمتعلقة منها باللغة والأدب خاصة نماذج قريبة في لغتها من لغة العصر وروحه، تظهر فيها فاعلية اللغة ومرونتها وحيويتها وقدرتها على استيعاب جميع مستجدات الحياة الحاضرة وتليتها لجميع متطلبات هذه الحياة، وتبرهن للمتعلم على أن اللغة العربية لغة حضارة متطورة متجددة، وليست لغة حضارة قديمة ساءت ثم بادت. وينبغي أن تشمل الكتب الدراسية والكتب المرتبطة باللغة والأدب والبلاغة بنحو عام على كل ما يمكن أن يحفز الطالب ويدفعه إلى ممارسة اللغة العربية الفصحى الملائمة لروح العصر، وكل ما يتيح له الفرص المتعددة للحوار والمناقشة والخطابة والكتابة، وينمي طاقته اللغوية والفكرية ويرتقي بقدراته على الإنشاء والإبداع الفكر والفني.

إن الموضوعات التقريرية الحاشدة في المناهج الدراسية للغة العربية في بلادنا تجعل الطالب متلقيا وتتركه منصتا، يأخذ ولا يعطي، يسمع ولا يتكلم، يحشو فكره بالمعلومات دون أن يعالجها بفكره ويمارس الحديث عنها ويعبر عن آرائه فيها، وموقفه منها ولا يسعى لتطبيقها خارج جدران المدرسة، وكذلك التمارين التي تتضمن مواقف مصطنعة لا صلة لها بالواقع وتجاربه المحسوسة، كل هذه لا تطور لغة الطالب ولا تساعد على إتقان اللغة، وإنما تبلد ذهنه وتحد من طاقته.

والمؤسف هو أن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (أيسكو) أعدت منذ عام (1979) مشروع كتاب اللغة العربية للمدارس الابتدائية في ولايات شمال نيجيريا، تم إعداد المنهج المقترح المناسب في ذلك الوقت، وكان من عناصر تنفيذه إعداد كتاب الطالب والمتعلم، والمعجم السياقي العربي - الهوساوي، ولكن المشروع لم ينفذ حتى الآن لأسباب لا نعلمها.

المبحث الرابع: الخطوات المتبعة التي تساعد على النجاح في العملية التعليمية:-

إن المباحث الثلاثة السابقة قد أعطتنا فكرة عن أهم العراقيل التي تعرقل العملية التعليمية في نظامنا التعليمي وموقف اللغة العربية وأصحابها. وهنا يجدر أن نذكر بعض الخطوات والمقترحات التي ستساعد في التغلب على بعض الصعوبات في العملية التعليمية منها:-

- 1 - مناقشة الجامعات التي تجرى البرامج العربية فيها بتوسيع مناهجها حتى تشمل التدريبات التربوية اللازمة للمعلمين.
- 2 - صياغة برامج تربوية تثير اهتمامات المتعلم وتجعل منه عضوًا فعالًا يتجاوب مع البيئة من حوله، ومع الظواهر المختلفة التي تدفعه لحب الاستطلاع والاستكشاف ومحاولة إيجاد الحلول للمشكلات المختلفة.
- 3 - توفير المعاجم اللغوية المناسبة لمستويات الطلاب وتعريفهم أهميتها ووظائفها وخصائصها وطرق استعمالها. ويجب أن تكون هذه المعاجم سهلة ومبسطة ويستحسن أن تكون من المعاجم التي تصنف فيها المفردات اللغوية بحسب ترتيب الحروف الهجائية في اللغة، ليتمكن التلميذ من الرجوع إليها والاستفادة منها والتعرف على جميع المختصرات والرموز والمصطلحات المستخدمة فيها.
- 4 - توفير وسائل التعليم الحديثة في مدارسنا كالتلفزيون التعليمي الذي كان في مقدمة الوسائل التي تشارك في تجسيد اللغة وتقريبها وإيصالها أو نقلها عن طريق الحواس المتعددة، بشرط أن تتوفر المادة التعليمية النافعة والتخطيط السليم في العرض والتوجيه السديد فت الاستخدام لثلا تتحول هذه الأدوات إلى وسيلة ترفيه بحتة وأدوات لتمضية الوقت.
- 5 - الاعتماد في تعليم العربية على الممارسة والمحاكاة والإكثار من التدريب الذي يساعد التلاميذ على اكتساب المهارة اللغوية واستعمال اللغة استعمالًا صحيحًا بغير تكلف وبدون الالتجاء إلى القواعد الجامدة والعبارات الاصطلاحية، وذلك مثل تدريب التلاميذ على المسرحيات وحلقات الحوار والنقاش.
- 6 - إيجاد معلمين ماهرين أكفاء يقومون بواجبهم على الوجه الأكمل، فتحضير الدرس مثلاً يجعل المعلم واثقًا بنفسه، وبذلك يكون درسه فعالاً.
- 7 - مراجعة المناهج وتطويرها من حين لآخر حتى تتناسب مع بيئة الطالب النيجيري.
- 8 - ضبط بعض الكتب المدرسية أو معظمها لأن ذلك سيساعد التلاميذ على النطق الصحيح السليم، ولا شك أن هذا يشجعه على حب القراءة والإطلاع.
- 9 - تجنب التام لاستعمال الاستعارات والمجازات والكنايات عند تعليم الطالب المبتدئ إلا للضرورة اللازمة.
- 10 - إعطاء الفرص للمعلم بالسفر إلى البلدان العربية لممارسة التدريبات وتحسين مستواه العلمي ليتأهل في ميدان عمله، فالمعلم المؤهل أكثر قدرة من غيره.
- 11 - التمويل الكامل والكاف من قبل الحكومة مما سيساعد كثيرًا على توفير الجو الملائم والبيئة الصالحة للمدرس والتلميذ معاً.

12 - توطيد العلاقات الخارجية مع الدول العربية كالسعودية والإمارات ومصر، وغيرها بغرض التعاون مع نيجيريا في المجال التعليمي والثقافي، لأن هذا سيساعد بشكل كبير على تطوير اللغة العربية في مدارسنا وكلياتنا وجامعاتنا.

الخاتمة:-

إن هذا البحث المتواضع عبارة عن بيانات مختصرة حول موقف المعلم والمتعلم للغة العربية في نيجيريا من التأهيل اللغوي والتدريب التربوي، والمنهج المتبع، والوسائل المتبعة في العملية التعليمية. حتى يتسنى للقارئ الحكم على موقف اللغة العربية ومعلميها ولكي يظهر جليا ما تعاني هذه اللغة على عدم حصولها على نصيبها اللائق في التعليم دائما على جميع المستويات.

وقد ذكرت الباحثة بعض النصائح والاقتراحات تتمنى تطبيقها لنجاح العملية التعليمية في اللغة العربية، كما تدعو المسؤولين بالمطالبة بالحقوق بواسطة المنظمات الإسلامية والهيئات المهنية وأصحاب المناصب الحكومية للغة العربية. وأمل الباحثة في هذه المقالة دفع مستوى اللغة العربية في مدارس العربية الإسلامية في نيجيريا بشكل عام، وفي شمال نيجيريا بوجه خاص.

والحمد لله رب العالمين أولا وأخيراً، وصلى الله على النبي الكريم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش والمراجع:-

1 - المنجد في اللغة والأعلام حرف الألف، ص - 20

2 - أدهم أحمد الصراف: أساليب ووسائل التدريب من وثائق الورشة التعليمية في

عمليات أساليب وتدريب المعلمين أثناء الخدمة، 20 - 1 (1977) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة،

1978 ص - 23

3 - المركز العالمي للتعليم الإسلامي - مكة المكرمة: توصيات المؤتمرات التعليمية

الإسلامية العالمية الأربع الطبعة الأولى 1982 ص - 23 .

4 - صالح عبد العزيز: التربية وطرق التدريس دار المعارف القاهرة، الطبعة العاشرة

1971 ، ج 1 ، ص - 115 - 95 .

- 5 - الدكتور فؤاد عبد اللطيف وغيره: علم النفس التربوي الطبعة الثانية، 1980 م،
مكتبة الأنجلو المصرية، ص - 557 - 556 .
- 6 - بيرد روث التعليم والتعلم في الجامعات والمعاهد العليا، ترجمة، د/ أحمد إبراهيم
شكري، ومراجعة د/محمد علي حبشى، جدة. 1412 هـ - 1992 م، ص - 247
- 7 - المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
- 8 - د/حسيب شعيب:- طرائق تدريس اللغة العربية في المراحل الابتدائية والمتوسطة
والثانوية، دار الحجة البيضاء، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م، ص - 50
- 9 - وولنتكن وولكنتن، تربية العقل الناقد، ترجمة د/طه الحاج إلياس، بغداد المكتبة الأهلية،
1965 ، ص - 51 .
- 10 - د/حسيب شعيب - طرائق تدريس اللغة، ص - 46
- 11 - المرجع نفسه، ص - 47
- 12 - روى هجمان - اللغة والحياة والطبيعة البشرية. ص - 100 .